بالفضيلة) فراجعه ان شئت

وعلى الجملة فاني ارى اولاً انه لابد من الاعتناء بالمؤلفات الحديثة والاستفادة منها وثانياً انه لابد من تشجيع كل مؤلف يمتاز تأليفه بميز مفيد بالمكافأة المادية والادبية من الادارة العلمية العالية

ثالثاً تأليف كتب جديدة للتدريس او المطالعة في العلوم المتداولة او غيرها متى تبين ان هناك حاجة الى ذلك والله هو الموفق والمعين

الباب الرابع
فى طرق التعليم ونظامه

طرق التعليم تنقسم قسمة اولية الى ثلاثة اقسام طرق التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي وطرق تعليم الجمهور وطرق التعليم الابتدائي في المكاتب وقد ينقسم كل واحد من هذه الاقسام الى اقسام شتى فان طرق تعليم الاميين لاتكون ابداً كطرق تعليم تلامذة المدارس ونريد الآن ان نتكلم على طرق التعليم العالي

اما القسمان الاخران من طرق التعليم فسيأتيان في فصول تعليم الجمهور والتعليم الابتدائي

بيان تمهيدي

ما هي علومنا اليوم

علومنا اليوم وان تكثرت فى اول النظر فهى على التحقيق ليست الا علمين علم اللغة وعلم الدين . فاما علم اللغة فما لاشك فيه اننا اقرب الناس الى اللغة العربية بل نحن اهلها فكيف نستغرق معرفتها منا اكثر الاوقات بل كيف نمضى فيها اكثر الوقت ثم لانعرفها

هذا الحال الاخير بلا مرية حال طلاب العلم بل والعلماء الذين يشتغلون بعلم اللغة العربية اكثر اعمارهم ثم اذا قرأوا لحنوا وان تكلموا غلطوا وان كتبوا لم يعرفوا كيف يكتبون في حين ان طلاب المدارس الاخرى يتعلمون اللغات الاجنبية المجهولة عندهم من قبل بصورها وموادها جهلاً تاماً و يتقنونها بآدابها وسائر متعلقاتها في سنين قليلة لاتعد شيئاً في جانب مدة اشتغالنا العقيم

اما علم الدين فمهما تفرع فانه يرجع الى معرفة العقيدة و بيان المنهي والمطلوب والمباح · وهذا ايضاً اذا نظر الى الحقيقة وأصل وضع الدين امر سهل لايحتاج الى هذه الصعوبات وامثال تلك المجاهدات والمشقات بل من الممكن ان يبلغ الانسان نهايته في ثلث اقل مدة مقررة الآن · اذاً فكيف هم اليوم يمضون فيه هذه المدد الطويلة ولا يتحصلون منه على درجة الكمال · لو كنا فى زمن تفرق العلم وتشتته فى صدور الرجال المنتشرين لكان لنا بعض العذر ولكن كيف وقد تعب فيه الاولون حتى جمعوه كله فى اسفار سهلة وجاهدوا كثيراً في تحريره وتنقيحه وتفننوا في اساليب تسهيله وتقريبه - تي صار سهل التناول قريب المأخذ لايكلف الانسان الا كما يكلفه اكل الطعام الذي يتعب في ايجاد مواده وتحضيره اقوام عديدون

ولو كنا مجتهدين نحتاج الي اعمال الفكرة وسهر الليالى في ادراك مناط الاحكام واستنباطها ومعرفة مقاصد الشريعة وتحرير القياس لكان لنا فى طول الزمان وعدم بلوغ الغايه بعض العذر. ولكن كيف ونحن مقلدون محجور علينا ان نعمل عملاً ما او

نتصرف اي تصرف وما لنا الا معرفة ما قاله المجتهد الذي نقلده وتلقيه بالقبول. بل لو كانت الغاية عندنا استحضار جميع الاحكام الشرعية ومعرفة ما قاله المجتهدون حتى يكون الانسان كلما سئل اجاب. وكلما استفتي افتى لكان لنا شيء من المعذرة بالنسبة لطول المدة ولكن كيف والغاية عندنا الآن لاتخرج عن الالمام ببعض المسائل ومعرفة اصطلاح التأليف لكي يمكن الانسان ان يراجع ما يطلبه. فما هذا الحال الذي لا يرضاه عاقل لنفسه

نضيع اكثر اعمارنا في معرفة لغتنا ثم لاتقنها وفي معرفة ديننا ولا نبلغ الغاية فيه ثم مع هذا الاقتصار على بعض ما لابد منه ومع القصور فيه على طول الزمان وتتابع السنين نرى اننا ارقى الناس واعلمهم وان ما نحن عليه هو الحق وغيره بدعة وكل بدعة ضلالة. تالله ان هذا لهو الجهل المركب لو كانوا يعلمون ولكن لاعجب فهكذا سنة الله يظن كل قوم انهم المصيبون وغيرهم المخطئون بل قد يظن مجنون الناس من به جنون. انا لادري على عاتق من التي مسئولية هذا النقص والى من انسب سببية هذا التاخير أ الى الاولين

الذين شعبوا العلوم واكثروا التفريع واسترسلوا مع الخيال وذهبوا معه شوطاً بعيداً واكثروا من التفصيلات والتدقيقات التي لايكاد الانسان يحيط باطرافها وذلك منهم اتباعاً لشهوة النفس العلمية وميلها وسرورها بتجلي المعلومات على اختلافها وادراك الدقائق وان لم تكن ذات فائدة حتى صعبت العلوم على طالبيها وصار طالب المقصود من بين مباحثهم اللفظية والخيالية كطالب ذرات التبر من اكوام التراب

ام الى المتأخرين من العلماء الذين لم يرقوا العلم ولم يسيروا به خطوة واحدة كما سار به من قبلهم خطوات ولم يقربوه من اذهان العالمَ ولم يحسنوا تعليمه

ام الى نفس المشتغلين بتحصيل العلم حيث لم يجهدوا انفسهم في طرائقه الموروثة وان صعبت وتشعبت وبعدت الشقة فيها وان لم توجد مساعدة من العلماء حتى يتحصلوا منها على خلاصة نافعة فى زمن يسير

وعلى الجملة فان هنا نقصاً ظاهراً متعدداً وهو وان تعددت اسبابه فان من اهمها فساد طرق التعليم وعدم الالتفات الى اصلاحه

وهذا ما نريد ان نبحث عنه هنا والله هو الهادي الى سبيل الرشاد

اهمال العلماء في امر التعليم

مما يوجب الاسف ان امر التعليم اليوم اصبح عند العلماء من الامور العادية التي لاتوجد في النفس داعية لتكميلها بل لاابالغ ان قلت انه عند الكثير من الرسوم والتقاليد التي يجب ان تؤدي كيفما كان وهم لذلك لايبالون فهم الطلاب او لم يفهموا تعلموا او لم يتعلموا وجدت نتيجة لتعليمهم او لم توجد وانما يهمهم ان يقال مثلا قرأ كتاب كذا وختمه فمثلهم في هذا مثل العامل الذي يشتغل بالبومية فهو لايهمه اتقان العمل بل ان يقال اشتغل

و بديهي انه ان لم توجد الداعية القلبية للتعليم ونجاح الطلاب في نفس الاستاذ يكون النجاح بعيداً

ولا ارى طريقة لايجاد هذه الداعية احسن من تخصيص الطلاب بالعلماء وتمييز تلامذة هذا عن تلامذة ذاك واناطة الامتيازات الادبية والمادية بنتائج التعليم ليكون هناك تنافس بين العلماء

في ترقية شؤون الطلاب وعلومهم وآدابهم مع ملاحظة ان لا يكون العدد كثيراً فان ذلك من معوقات التعليم

اهمال المشيخة في التعليم

المشيخة او رئاسة المدارس الدينية لا عمل لها الآن ولا نظر في امر التعليم الا من جهة انها تدعو العلماء الى القاء الدروس والطلاب الى تلقيها على (صفحات الجرائد) عند ابتداء مدة الدراسة وربما عملت ما يسمونه (بالحصر) اما ان الطلاب بعد حضورهم يتلقون الدروس او لا يتلقونها واذا تلقوها فهل يفهمونها او ان العالم يقرأ كتاب كذا او كتاب كذا او ان طرق التعليم حسنة او غير حسنة الى غير ذلك فلا عمل لها فيه اصلا بل هو ومثله موكول الى حرية العلماء والطلاب وضرر هذا الحال وكونه تقصيراً شديداً ظاهر اذ امر التعليم هو المقصود الاصلي وما عداه فمن التوابع ولا يجوز ابدا ان تغض المشيخة عن الامر الجوهري المقصود الى هذا الحد مشتغلة بفروعه من امر الجرايات والمرتبات ومكتبات المصالح ونحو ذلك

فالي هذا استلفت انظار المشيخة راجياً ان تعير امر التعليم

التفاتة يكون بها النجاح مضموناً والله هو الموفق والمعين

الطريقة العمومية للتعليم

ان الطريقة المتبعة اليوم في التعليم طريقة ناقصة مضيعة للزمن مفوتة للغرض لان اكثر المعول عليه الآن انما هو ايجاد ملكة ادراك الدقائق في اللفظ او المعنى والاول هو الاكثر استعمالاً مثل لم عبر بكذا · كلامه يشمل صورة كذا الصواب حذف كلمة كذا · الصواب التفريع الصواب ابدال الواو بالفاء · العكس · هذا مكرر مع ما قبله · الى غير ذلك · والثاني هو منتهى الكمال عندهم وهو يرجع الى دقة التصور والتخيل وادراك المعنى الواحد على صور مختلفه وحله وتركيبه باشكال متنوعه والفرق بين المفهومات المتقاربه وادراك الاشكالات الواردة ونحو ذلك وبديهي ان كلا الامرين من الكماليات في التعلم والمعول عليه اصاله انما هو الفقه في مسائل العلوم وحصول فائدتها وثمرتها والغاية المقصودة منها وبعد ذلك فلا بأس من النظر الى تحقيق الصور العلمية المشتبهة وما يتبع ذلك · وبعد هذا فلا بأس من النظر الي ان المؤلف اصاب او اخطأ في اللفظ

اما ترك فقه العلم ونبذه وعدم الالتفات الى حصول الثمرة المطلوبة من العلم ثم اكثار البحث في نقد الكلام وجعل النهاية هي تحقيق بعض المفهومات والمعاني فهو السفه الذي ليس بعده سفه

ما للمبتدي في العلم ولان فلانا اصاب في اللفظ او اخطأ فيه وما له ولهذا التطويل الممل في تقرير ان الصواب ابدال الواو بأو مثلاً وهو لم يذق طعم العلم ولم يعرف المقصود منه

لعمري ان تلك الطريقة طريقة الاعتناء والتدقيق في الالفاظ هي طريقة التأخر وهي عقبة الارتقاء وهي السد الحاجز بين طلاب العلوم و بين الوصول الي حقائقها وان كانت طريقة لذيذة عند بعضهم نظرا لظاهر ما فيها من اكتشاف مجهول ومعرفة حقيقة وذلك من اماني النفس ومشتهياتها الا ان من ينخدع بتلك اللذة كمن ينخدع بلذة الاكل الكثير الذي يجلب انواع الامراض

ها هي طرق كبار الاعاجم وهم سادات العلوم بالاتفاق قد لانجد فيها شيئاً من امثال هذه السفاسف وانما الاعتناء فيها بالتوسع

فى اصل الموضوع واشباع القول في المعانى وما ينشأ عنها على وجه يناسب الطباع السليمة وينمي العقول و يوسع دائرة الفكر و يورث بعد النظر وادراك الحقائق العالية و يوصل الانسان الي درجة تكون معها اهم المسائل لدينا واصعب المباحث من الامور البسيطة التي تدرك بادنى التفات وهذا بخلاف حالنا اليوم فانه شيء منحط من شأنه ان يحط الفكر و يقعد به بل و يفسده ولا يجعل للانسان قدرة على ادراك المعاني العالية ولا النظر فى المباحث السامية وكيف لا ونحن اليوم يعتبر منتهى الكمال لدينا ادراك بعض اشياء من فلسفة الاعاجم الخيالية في بعض المعانى ولا نكاد نصدق ان من الممكن الوصول الى ما يقرب مما وصلوا اليه مع انه كان فى الواقع من السهل ان نكون ارقي منهم لان لطرائقهم عيوباً ربما بيناها فى فرصة اخرى

ولهذا فانى ارى انه لابد من جعل المعول عليه اولا انما هو بيان فقه العلوم وتمكينه في النفوس حتى تتأثر عنه وان يكون موضوع التفاضل هو التوسع في المعاني واشباع القول فيها على وجه يناسب احوال الطلاب ومداركهم اما المباحث اللفظية فما لم

تتعلق بجوهر المعنى المقصود لا ينبغي ان يكون النظر فيها الا عرضياً

كثرة الاحتمال والتأويل

ومن احق ما تستلفت اليه الانظار ما يستعمله علمأنا اليوم من كثرة التأويل وقولهم يحتمل الكلام كذا ويحتمل كذا فان ضرر ذلك على العقول شديد وبين تلك الاحتمالات والتأويلات تضيع الحقائق . ولو نظر في كل شيء للاحتمالات العقلية لتعطلت المصالح وفسدت الشرائع وبطلت العلوم وارتفعت الحقائق ولم يفهم احد مراد الآخر . بل المعول عليه هو ما يعطيه سياق الكلام والقرائن وما هو معتبر في عرف التخاطب فان امر التعبير سهل والمقصود منه انما هو الدلالة على المعاني ولا تتم هذه الدلالة الا اذا لوحظ العرف وما يفهمه الناس من المقال بقطع النظر عن الاحتمال العقلي ومن هنا تجد اساليب الكلام ومناهج التأليف مختلفة باختلاف العصور والازمان وقد يكون الكلام حسناً في عصر غير حسن في آخر وها هو زمننا الحاضر قد نهج الكاتبون فيه اسلوباً غير الذي كان معلوماً في القرن الذي قبله

وصار الاول احط من الثانى ولكن هو وان كان احط منه الآن فلم يكن احط منه ايان رواجه وتعارفه بل ربما كان الامر بالعكس ولاجل ذلك فان الواجب ان يفهم قول كل مؤلف على وفق ما كان فى عرفه وبالجملة فان امر التعبير لا يستحق هذا التشديد كله ويجب ان يكون التعويل على ما يعطيه السياق ومحوى الكلام

الا ترى ان المطالع ربما استرسل مع المعنى وسياق الكلام ففهم من الكلام شيئاً يكون هو مراد المتكلم او الكاتب ولو نظرنا الى العبارة وحدها لم تفده بل ربما افادت ضده كما يحصل فى كثير من الاحوال

ولا يظن الناس ان ذلك الخطأ فى بعض العبارات او قصورها النوعي هو لقصور اصحابها . كلا ولكن الكاتب اذا كتب فى موضوع واسع كان المعول عليه عنده هو المعنى ولم يبال باللفظ (وهذا هو حالي في هذا الكتاب) وهم لو ارادوا تحرير العبارة امكنهم ولكن كانوا حينئذ لا يأتون فى طول اعمارهم بعشر ما اتوا به وكانت تضيع ثمرات افكارهم الكثيرة النفيسة نظراً للاهتمام

بتحرير العبارة

ان الذي يكتب في اليوم اكثر من عشر ورقات فى دقائق العلوم مع وجود الشواغل الاخرى لجدير ان لايلتفت الى اللفظ ولهذا تراهم كثيراً ما يكتبون ويظنون ان العبارة مفهمة لما يريدون تماماً ويكون هذا عندهم فقط لا بالنسبة الى غيرهم

والخلاصة ان كثرة التدقيق في اللفظ مفوتة للغرض وكثرة الاحتمال مفسدة للفكر ومضيعة للمعانى الحقيقية

على انى وان قلت ذلك فاني ارى من المستحسن فى بعض الاحوال التدقيق فى اللفظ لغرض بيان مرامي الفكر في العبارات ولكن ذلك لايكون دائماً ولا بالقصد الاول بل فى بعض الاحوال تعليماً وتمريناً على طرق الفهم كما ان ما كان منها متعلقاً بجوهر المعنى فلا بد منه وكذلك بيان الاحتمالات لو كان فى بعض الاحوال ومقروناً بابطال غير المراد توسيعاً لدائرة الفكر كان حسناً

ويحسن عندي ان يبتدىء المعلمون بالكلام على المعنى ويوفوه حقه من كل وجه ثم يقرأوا جمل الكتب التي يدرسونها مبينين

ما فيها من الاحتمالات والخطأ ولكن على وجه لايضيع معه الزمان

فوا أسفاه على ذلك الزمان الطويل الذي يضيعونه في المباحث اللفظية ثم يخرجون بعد ذلك بلا جدوى

الفلسفة الخيالية

كما انتقد طريقة الاعتناء بالالفاظ اكثر من اللازم وطريقه كثرة الاحتمال والتأويل فان ارى مثلهما ضرراً طريقة التوسع في المعانى الخيالية التى لاتوجد لها فائدة حقيقية ذلك لان خيال النفس غير محدود وهي دائماً تسر حينما تتجلى لها المعاني في صور واسعة وعلى اشكال مختلفة وتحب معرفة المجهول من حيث هى معرفة بقطع النظر عن ان تكون ذات فائدة فى الخارج وهذا الحال كان الغالب على اكثر العلماء في اكثر الازمان (خصوصاً بعض الاعاجم) وعلمائنا اليوم يعدونه الكمال الذي قد لايحصل عليه الا الواحد بعد الواحد . ولكني ارى ذلك شهوة من شهوات النفس التي تؤدي الى الفساد لانه فضلا عن ان ذلك لايستتبع

فائده فان اطلاق عنان الفكر والتخيل كثيراً يؤدي الى ادراك الاشياء على غير حقائقها والى التردد في البديهيات بل انكارها واكثر ما هو منقول عن كبار علماء الكلام مما قد لايصدق الانسان بوجود عاقل يذهب اليه هو مبني على هذا . ويؤدي ثانياً الى الخلف حيث لاخلف في الحقيقة . وكم لهذا الباب من شواهد فرقت الامة وجعلتها احزاباً بسبب توهم الخلاف وعلى الحقيقة لاخلاف وانما هو الخيال يدرك المعنى الواحد على صورتين يتوهم ان احداهما ليست الاخرى وهي هي على الحقيقة ويؤدي ثالثاً الى فوات اكثر الواجبات وضياع الزمن فى تحقيق معنى واحد وتصويره على انماط مختلفة بلا فائدة هذا فضلاً عن ان هذا المعنى وذلك التصوير لايبقى ايضاً فى الذهن بواسطة التخليط وكثرة المسائل

نعم هناك طريقة تقضي بان ينقطع الانسان لفن او فنين ولكن ذلك انما يكون بعد الحصول على جملة وافية من كل العلوم

على ان ذلك الانقطاع انما يقصد به بذل الفكر فى معرفة

حقائق العلم وتذليلها وتقريبها بسائر الطرق الممكنة لكي يمكن اعطائها للطلاب على الوجه الحقيقي بكيفية سهلة في زمن وجيز لا لاجل ان يفيض مع الطلاب فيها و يعطلهم عن غيرها من باقي الواجبات

فمن هذا ارى انه لايجوز دوام هذا التوسع المضر وان يكون ذلك بقدر معلوم و بطرق معينة حرصاً على الزمن وعلى الفائدة من سائر وجوهها وخوفاً من الوقوع فيما لاتحمد عقباه والله ولي التيسير

طرق اصلاح التعليم

ان الاركان التي يرتبط بها حسن التعليم والتعلم لاتكاد تتجاوز ما يأتي . انتقاء الكتب . حسن التدريس . تقديم الاولى فالاولى الاعتناء بالحفظ . عدم اهمال الكتابة . المحافظة على الوقت و بيان هذا كما ترى

انتقاء الكتب

انتقاء الكتب من اهم الامور التي يتوقف عليها حسن التعليم اذ غير خاف ان المؤلفين مختلفوا المشارب مختلفوا الاساليب

وان الكتب تختلف بالسهولة والصعوبة في التركيب وكثرة الخطأ وعدمه والتطويل وعدمه وترك مسائل بعض العلم وعدمه واغفال بعض الشروط والقيود والمستثنيات وعدم ذلك الخ الخ · وقد التزمت فى المدارس الدينية كتب خاصة في كل علم لايقوم برهان على انها افضل من غيرها بل قد يقوم على ان بعضها مضر وان هناك ما هو اولى منه وافيد وانسب لحال الطلاب ففي النحو يبتدئون بشرح الكفراوي وهو لايناسب حال المبتدي، لانه يعرب كلمات المتن ثم يشرحها والمبتدى، اذا لم يكن يعرف شيئاً من قواعد النحو اصلا فكيف يدري الاعراب وكيف يجوز ان تكون اول كلمة تلقي اليه (بعد اوجه البسمله) (الكلام)مبتدأ مرفوع بالابتدأ الخ (هو)ضمير فصل على الاصح · مع انه لايعرف المبتدأ من الخبر الا في وسط الكتاب نعم هذا الشرح يجوز بعد قراءة المتن مجرداً او بشرح الشيخ خالد· وحاشية ابي النجا ضررها على الطلاب شديد اذ لايكاد يفهم منها شيئاً الا القليل وكذا حواشي الازهرية والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني قرائتها معوقة مضرة لانهم يمكثون في دراستها ثمان سنين ومع ذلك لايخلصون بنتيجة واكثر

الطلاب في نهاية الاشموني يجهل المعاني البسيطة لاكثر متن الالفية وقد قدمنا ان من السهل الاستعاضة عن ذلك بثلاث سنين او اربعة يدرس فيها متن الاجرومية فشرح الشيخ خالد فالقطر فالشذور فابن عقيل وقد يمكن ان يضم الى ذلك شرح الاشموني او الاوضح ويكون ذلك على نحو الترتيب الآتي متن الاجرومية فشرح الكفراوى او شرح الشيخ خالد مع ملاحظة الاكثار من الامثلة واعرابها في سنة ثم القطر والشذور في الثانية ثم شرح ابن عقيل مرتين في الثالثة ثم شرح الاشموني او الاوضح في الرابعة وهذا على سبيل التمثيل والا فقد يكون هناك طرق وكتب اخرى افيد وانفع وقد يمكن تاليف كتب جديدة تكون اسهل واقرب الى كاتي تدرس فى المدارس الاميرية وقد يمكن ان يدرس من الكتاب بعضه المفيد الحسن ويدرس باقي العلم من كتاب آخر متى كان فى بعض كل منهما ما لايوجد فى الآخر وفي البلاغة قدمنا ان متن الخطيب مختصر اختصاراً مخلاً ثم شروحه وحواشيه لم تنهج النهج الحسن فى ايضاح المعاني على الوجه المطلوب هذا فضلا عن ان الحاشية المستعملة اليوم

هي جمل منثورة من مؤلفات كثيرة قد لايمكن فهمها الا بمراجعة اصولها وكلها من الابحاث الغامضة والاعتراضات الكثيرة التي لاتليق بالمبتدي، فى البلاغة على ان الاسترسال مع هذه المباحث يعوق عن التحقق بمعنى البلاغة فانها كنحو من الصناعات التي ليست غايتها معرفتها بل غايتها امر آخر يترتب عليها لو كان حاصلاً دونها لم يكن لها فائدة كما انه لافائدة فى معرفتها اذا لم يحصل ذلك الامر وقدمنا ايضاً ان من الممكن الاستغناء عن هذا الكتاب بكتب حسنة لايأخذ مجموعها اكثر من المدة المقررة له وهي متن المفتاح ودلائل الاعجاز واسرار البلاغة

وفي المنطق يدرسون السلم بحاشية الباجوري ثم شرحه بحاشية الصبان وفى الاول نوع من الموافقة لولا ان تعقيه كلام على الخطبة فيضيع الزمن فى غير المقصود ولاجرم ان هناك من كتب المنطق ما هو اولى وافيد من الملوي بحاشيته ككتاب الشمسية وسلم العلوم والبصائر النصيرية، وشرح بيرم على ايساغوجي من افيد الكتب للمبتدئين

وبالجملة فان اكثر الكتب المستعملة الآن غير جيدة ويحسن

استبدالها بغيرها وقد ذكرنا شيئاً من ذلك عند الكلام على العلوم وذكرنا ايضاً انموذجاً مما ينبغي ان تبدل به لان الجمود على كتب معينة هذا حالها مؤد للخيبة والتاخير وهناك من الكتب ما يحصل العلماء والطلاب من العلم اكثر مما يتصورون في اقل من المدة المعروفة الآن . واهم ما ينبغي ان يعني الطالب والعالم معرفة اسماء الكتب النافعة فقد يكون معرفة اسماء بعض الكتب سبباً للسعادة الابدية وكثيرون تحصلوا على شهرة فائقة ومزايا عالية في العلم بسبب الحصول على بعض الكتب الغريبة العالية

ولهذا فاني استلفت الانظار الى الكتب المستعملة الآن ونقصها الشديد ولا اريد ان اعين كتباً وطرقاً اخرى اذ متى توجهت الفكرة فقد يوجد ما لايخطر لمثلي الآن على بال واري ان تعين لجنة من كبار العلماء للنظر في هذا الموضوع

دراسة الحواشي على العلوم

وظيفة الحواشي تكاد تكون محصورة فيما يأتي . بيان خطا

في المعنى · بيان خطاه في اللفظ · بيان شروط وقيود لابد منها · توضيح المواضيع الغامضة · ذكر مسائل من العلم لم تذكر في الشارح · تقريم الخ الخ · ولا شك ان وظيفتها حينئذ وظيفة مهمة ضرورية نشأت من قصور الشروح عن تأدية كل المطلوب على الوجه الحسن فالتمسك بالشروح وحدها اذا يقع في الجهل ويفقد ملكة الفهم التي تحصل من مطالعة ابحاث الحواشي

ولكن مع هذا ارى ان الحواشي الموجودة توسعت أكثر مما يلزم واكثرت من المباحث القليلة الجدوى وطولت الكلام بلا فائده حتى وصل الامر الى انهم يذكرون تقرير المسألة ثم يقولون وبهذا يظهر فساد ما قاله بعضهم هنا وان اجاب عنه شيخنا بما حاصله كذا لانه يرد عليه كذا وكذا ولا يقال كذا وكذا لانا نقول كذا وكذا وربما استغرق هذا اكثر من خمس ورقات بلا جدوى ولا فائدة الا التشتيت والضياع بسبب حب اظهار العلم وتمطيط الكلام · ولا يخفي ان العلم وان كان حسناً كله واسائر فروعه وصنوفه لذة وفائدة ما ولكن من الواجب

عدم الاغترار بذلك فان هذا قد يأدي الي فساد فى الفكر بسبب كثرة التشويش والى التاخر في العلوم الاخرى بسبب ضياع الزمن فكون البحث في ذاته له فائدة ما لا يقضي بالاشتغال به فان وجود انواع كثيرة حسنة من انواع واصناف الملابس مثلا لايقضي بشرائها جميعها وانفاق جميع النقود فيها والا اخلّ بالحاجيات الاخرى ولانها ثانياً وقعت فيما جائت لاجله وهو الحاجة الى الاصلاح بل قد يكون احتياجها لحواش اخرى اشد من احتياج الشروح اليها فكثيراً ما توجد فيها اغلاط شديدة وآراء باطلة وقصور على بعض الشيء ومن هنا جائت التقارير المبتورة المدمجة او الممطوطة المشوشة وقد يكون حالها في ذلك لايقل عن حال الحواشي · واعمال كهذه توقع الطالب في ارتباك شديد يؤخره ويضره واكثر الضرر يأتي من حيث تتوهم المنفعة · ولانهم ثالثاً اعتبروها للمبتدئين وضررها عليهم اشد ولا يعلم الا الله مقدار ما تعوق حاشية ابي النجا المبتدئين في النحو فانها لهم كالعاهة التي تلحق النبات في صغره فتوقف نموه

ورابعاً انهم اعاروها من العناية في التدريس اكثر من اللازم

حتى كانها هي المقصودة فلزم على ذلك ضياع الوقت فى ما لا يعني وبلا شك ان قراءة شرح ابن عقيل مرتين افيد من قرءته مرة بالحواشي . واهم ما يتشبثون به في مزيد التمسك بها انها خير واسطة لتربية ملكة الفهم وهي امر ضروري لكن لو تأمل المنصفون علموا ان تربيتها لا تحتاج الى هذا العناء كله وان ميدان التربية ليس امثال هذه المباحث التي تحويها الحواشي وخصوصاً النحوية وان الاطلاع على الكتب العالية والمباحث الثمينة يربيها اكثر . فلهذا ارى اولا انه لابد من اصلاح الحواشي بانتخاب حاشية تؤخذ من مجموع حواشي الكتاب تكفي وتحيط بالغرض . ثانياً ان هذه الحاشية يطالعها الطلاب والمعلمون ولا تقرأ في الدروس بل يلخص الاستاذ ما فيها اثناء قراءة الشروح وان كان ولا بد فليكن مع التساهل فى قرائتها خوفاً من الضياع

هذا واني الاحظ ان هناك مسائل لم توف حقها من العناية ولا يمكن معرفتها على وجه حقيقي من الكتب المتعارفة وهي فيها لم تزل موضع اللبس والاشكال فاري انه لابد من تاليف مجتمع ينظر في هذه المسائل ويقررها على الوجه التام بعد المراجعة حتى

تزول عقبة كبري طالما اورثت تاخيراً كثيراً وقد كان ينبغي ان يكون مثل ذلك من اهم ما يعني ارباب الحواشي ولكن هكذا كان وفي الختام استحسن المثل المشهور

(من تتبع الحواشي ما حواشي)

حسن التدريس

هذا هو الاساس الكبير لنجاح امر التعليم وتقدم الطلاب وخصوصاً المبتدئين فكثيراً ما يذهب الطلبة حتى الازكياء منهم ضحية عدم احسان التدريس . ولا جرم ان هناك اصولا ولوازم كثيرة لابد منها في حسن التدريس من اهمها ما نريد ان نذكره في هذه الكلمات الوجيزة

الاول تمام الالمام بالعلم الذي يكون التدريس فيه حتى يمكن اعطاءه للطلاب على الوجه الحقيقي العلمي بطريقة سهلة مختصرة ولكن لاينكر علينا احد ان التعويل الآن ليس الاعلى ان يفهم الشيخ الكلمات التي امامه وان كان جاهلا باصول العلم غير واع لها وغير متمكن فيه . وكثيراً ما يكون الاستاذ في العلم المطلوب

كالتلميذ لايزيد عنه الا بقوة الفهم وذلك خطأ يورث الخبط والخلط والتطويل وعدم تمام الفائدة فكثيرًا ما ترتبط مسائل العلم ببعضها كما في الاصول . فمستحضر مسائل هذا العلم يمكنه ان يفهم مقدمة جمع الجوامع مثلا على الوجه الصواب بسهولة بخلاف غير المستحضر فانه يسير بمجرد قوه العقل فاولا لايتمكن في الفهم

وثانيًا يحتاج الى عناء شديد لعدم وجود المواد والمعلومات التي تساعده

وثالثًا يكون اقرب الى الخطأ : فالاستاذ لابد ان يكون متمكنًا من قبل في العلم الذي يعلمه محيطًا باسراره ومقاصده عارفًا باصطلاحاته ورموزه ولا يجوز ان يتكل على انه يمكنه ان يفهم المقصود من الكتاب الذي يدرسه فيكون كاعمى يقود عميانًا ولا يشترط ان يكون اطلع على خصوص الكتاب الذي يدرسه وان كان ذلك اولي

هذا واني استحسن ان ينفرد العالم بفن او فنين بعد تأدية الامتحان في سائر العلوم لان ذلك يأتي بفوائد جمة في

تقدم العلوم و يكون خير ضمان لنجاح الطالبين ويمكنهم من حقائق العلوم في ازمان قليلة

الامر الثاني الاعتناء باستحضار خصوص الموضوع الذي سيلقي ودرسه درساً دقيقاً . والتمكن فى فهمه . ومعرفة مطولاته . ومراجعة ما يلزم لذلك من الكتب حتى يكون محيطاً تمام الاحاطة بسائر اطرافه ومتعلقاته . ولكن مما يوجب الاسف ان اكثر العلماء يتهاون في ذلك اما اتكالا علي ذهنه واما اكتفاء بالاطلاع البسيط على بعض الحواشي والتقارير لكي يمكنه متى جلس فى الدرس ان يأتي بشيء من المناقشة اللفظية او غيرها حتى يتخيل للطلاب انه آتي بشيء جديد وانه وفى الموضوع حقه وبهذا يسوغ لنفسه معنى القراءة والتدريس وقد يكون الموضوع الحقيقي والابحاث اللازمة لم تمس ولا تزال مجهولة له كما هي بالطبع مجهولة للطلاب والغرض انه اتى بشيء وقرأ وبحث فقط بقطع النظر عن فهم الطلاب وعدمه وعن ايقافهم على النقط الجوهرية فى الدرس وذلك بلا ريب نقص شديد ظاهر تكون عمليات التعليم والتعلم والقراءة والتدريس معه صورية محضة وتكون النتيجة التاخر والانحطاط

ومزيد الجهل نعوذ بالله من سوء هذا الحال

الثالث الامانة فى العلم وعدم الاقدام على قول ما ليس للانسان به علم امثلا يقع الاستاذ زيادة على جهله فى اشد انواع الخيانة والكذب ويوقع غيره فى الجهل اما الاستحياء من اظهار الخطا او الجهل والتجرؤ على ترويج الباطل خوفاً من الخجل ان رجع عنه وقال لا ادري فامر يجب (ان يعدل) عنه فان قررنا مسألة وتبين لنا خطأها لم نستنكف من الرجوع الى الحق وان سئلنا فى شيء لانعرفه فلا نبالي ان نقول لاندري وان لم نفهم شيئاً من مواضيع الدرس فلا نستحي من تاجيله وعدم الخوض فيه بجهالة فتلك هي الامراض التى تفشت في جسم التعليم فركسته وهي الموانع والسدود التي قامت بين الطلاب وبين معرفة الحقائق ولا نقص اشد من هذا النقص ولا عيب اكثر من هذا العيب ولا خيانة اشد من هذه الخيانة وقانا الله السوء

الرابع استعمال الانصاف مع الطلاب فيما يعن لهم من الاراء ويظهر لهم من المباحث فليس ببعيد ان يكون ما ظهر لهم هو

الصواب دون ما ظهر للمعلم لل ودون ما هو مكتوب فى الكتاب الذي يدرسونه اذ في ذلك فضلا عن الرجوع الى الحق وترك الانتصار الى الباطل تشجيع الطلاب وبث مبدأ الحرية والاستقلال الفكري فيهم وحملهم على مثابرة البحث والتنقيب وعلى مداومة الجد والاجتهاد اما تلك الفكرة التي تغلب اليوم علينا من رد كل عبث وارد من احد الطلبة والاجابة عنه بحق او بغير حق فهى فكرة باطلة معطلة تبعد عن الحق وتورث الجمود في افكار الطلبة وتنزع منهم بدأ الاستقلال

ومع مزيد الاسف ارى انه لابد من الالماع الى ذلك الامر الذي يقع فيه اكثر اكابر العلماء حتى من يدعي منتهي الكمال والوقوف على اساليب التعليم وآداب التربية وهو اهانة اكثر السائلين من الطلاب وزجرهم واستعمال الامور المخالفة للآداب التي لاتليق باحاد الناس فضلا عن العلماء لمجرد كونهم يسألون وكثيرا منهم يحكم على من يسأله بالخروج عن الدرس بالمرة فان تعاصى حبا في العلم والاستنارة استعملت معه القوة: فما هذا الحال السيء

والامر الشنيع أذلك هو التعليم الصحيح ام ذلك هو الاقناع والارشاد اللازمين ام تلك هي الاداب التي تعطى من علماء الاسلام لمن يجلس اليهم

طالما سمعنا من علمائنا اليوم اعتذاراً عن مثل ذلك انهم اخذوا العلم عن اساتذة كانوا يضربونهم بالاعال اذا سألوهم ويسبون ابائهم اذا ما بحثوا معهم فانا لله وانا اليه راجعون

الخامس ان لايجعل المعلم تدريسه قاصراً على ان يستحضر في نفسه معاني ومباحث ويرتبها · ثم يأتي ليلقيها بكيفية هي بالخطبة اشبه منها بالتدريس فان ذلك وان حسن ظاهره وارتاحت اليه نفوس الطلاب لكونه يوقفهم على المعانى بسهولة لكنه يورث الجمود ولا يمكن ان تقوي معه ملكة الفهم وتتسع دائره الفكر ويبعد مرمى النظر ولا ان توجد ملكة التبصر ولا ان يفرزوا الحق من الباطل بل يلبس الامر عليهم فان تلك الطريقة الخطابية اقرب طريق لترويج الباطل وقد لايدركه معها الا صاحب الذهن الوقاد · بل اللازم ان تكون طريقة التدريس طريقة تفهم وتدبر وتروي وبحث حتى كأن المعلم يفهم المباحث

مع الطلاب من جديد مع التأني والاخذ والرد فان ذلك يجعل لذهن الطالب مجالاً ان ينظر و يبحث وربما جعل المعلم بطريقته هذه فكر الطالب يسبق الى ما في المقام من بحث او اعتراض قبل ان يصرح به و ينساق الى المعنى المراد بنفسه ولكن مع ذلك فلا يجوز كثرة الاخذ والرد الى حد يوجب الاملال والتشويش ولا التوسع في التأني والتروي الى حد يميت روح النشاط و يوجب الخمود والكسل

السادس ان يوفي المعلم كل مسألة حقها من البحث والبيان فلا يغادر في المسألة شرطاً الا ذكره ولا تخصيصاً الا بينه ولا خلافاً الا نبه عليه

السابع ان يكون اجمع الناس بفكره للمعاني المترامية حتى يمكنه ان يصورها بصور سهلة على الطالبين وان يستعمل كل فكره في تقريب البعيد وتذليل الصعب واختصار المطول وان يكون له قدرة على التحليل والتركيب والتصرف في المفهومات العقلية حتى يمكنه ان يصور المعاني المنتشرة الصعبة بصور مرتبة سهلة وان يجتنب التشويش والاطالة وان يسلك اقرب الطرق واسهلها وابسطها الخ

الثامن ان يرتب المباحث و يحسن التقسيم والترديد والوضع فلا يذكر مبحثاً قبل ما هو اولى منه بالتقديم وليجعل الترتيب والنظام بين عينيه في كل شيء وخصوصاً في المعاني و يحسن ان يشير اولاً الى النقط والمباحث و يسردها اجمالاً مرتبة ترتيباً متناسباً

التاسع ان لايستعمل في الالقاء من اساليب الكلام الا الاساليب العالية التي تنبه الطالب وتحاكي الوجدان وتمثل المعاني اتم تمثيل وتوثر في نفوس الطلبة

العاشر ان لايجعل عمدته البحث عن غير النقط المفيدة فلا يسترسل في المباحث اللفظية مثلاً قبل توفية المعنى حقه من الايضاح والبيان

الحادي عشر ان يسلك فى تدريسه لسائر انواع العلوم مسلك تطبيقها على الواقع والنظر فى حقائقها بقطع النظر عن المنقول وان يكثر من التدريب على استعمالها و يحرص على حصول غايتها فلا يعتني بها في ذاتها بقطع النظر عن فوائدها والمقصود منها

الثاني عشر ان لايعلل الا بالعلل الحقيقية ولا يترك شيئاً من غير ان يبين علته وسببه ولا امراً عقلياً منقولاً الا اذا فهم سره وبرهانه وليحذر ان يسوق الحكمة مساق العلة او ان يذكر فيها شيئاً غير معقول الخ الخ

تقديم الاولى فالاولى

هذا امر لايخفى وجوبه وضرورة الاعتناء به وان اهماله يؤدي الى مفاسد كثيرة ولكن من الغريب ان ذلك مهمل الآن لدينا بالمرة. فاهم ما يحتاج اليه المبتدىء امر التربية والادب وهو منتف في المدارس الدينية لا التفات اليه بالنسبة الى المبتدئين وغيرهم وكذا من اعظم ما يجب الابتداء به تنمية الشعور الديني وتقويته وايجاد الملكات الاسلامية الروحانية والحث على التمسك بالدين بالوجوه المقنعة والارشادات المؤثرة وبيان مزاياه واسراره وما يتعلق بابحاثه العامة من نحو ان الدين لايضاد محاسن المدنية وان الغرض منه ليس الا مصالح الانسان وان ما فيه مما يبعد فهم حكمته عند العقل فهو لمصالح حقيقية غامضة يعجز العقل عن معرفتها

لان العقل لايدرك كل شيء الى غير ذلك مما يبعث فى قلوب المبتدئين محبة الدين و يدفعهم الى العمل به دائمًا و يوجد فيهم الداعية القوية الى امتثال اوامره واجتناب نواهيه مهما تحملت النفس في ذلك من ضروب المشاق. ولكن ذلك غير منظور له الآن بوجه من الوجوه لا بالنسبة الى المبتدئين ولا سواهم حتى كانت نتيجة هذا الخلل ما اشتهر من تهاوننا في اوامر الدين واننا من اهل الجرأة على الله ولعمري ما فائده مفاجأة الطالب منذ بدايته بتعليم دقائق فروع الزكاة . والصلاة . واحوال الإمام والمأموم . ونحو ذلك اذا لم توجد داعية للعمل بشيء من هذا وما معنى جعل ذلك هو كل تعليم الدين مع ان معرفة ان حكم الصلاة كذا وحكم الزكاة كذا يمكن ان يفوق فيه غير المسلم المسلم.

لاجرم ان اللازم ايجاد الداعية اولاً للعمل بقانون الدين واشرابه قلوبهم وهم بعد ذلك يقبلون بانفسهم على تعلم احكام الفقه و يقاسون اشد المشقات في تحصيله. من اهم الامور التي يجب الابتداء بها ايضاً تعليم عقائد الدين على وجه ملائم معقول بسيط سهل

ولكن الآن قد يمضي على الطالب السنين العديدة من غير تعلم شيء من التوحيد لانه ليس من العلوم المقرر لها اوقات معينة رسمية بل دراستها بحسب اختيار العلماء وهذا نقص كبير وكذلك علم التفسير من الامور المهمة الضرورية وهو الآن بعد من الكماليات واكثر الطلاب بل العلماء لا يهتمون به وقد لا يعرفون معنى ما يتلونه في الصلاة

الاعتناء بالحفظ

قد اشتهر بين الطلاب من الامثال قولهم (من حفظ المتون حاز الفنون) وقولهم (ليس يعلم ما حوى القمطر الا العلم حقاً ما حواه الصدر) ولكن من الغريب ان ما تشير اليه هذه الامثال الحكيمة الحقة غير معمول به اصلاً اصبح امر الحفظ الآن منبوذاً وكثر التعويل على مجرد تربية ملكة الفهم وغير خاف انها وان كانت ضرورية فهي لا تكفي وحدها وان الطالب والعالم ما لم يحفظ لا يمكن ان تحصل له خصوصية معنى العلم فالحفظ اهم ما ينبغي ان يهتم الطلاب والعلماء واهم ما ينبغي ان يبادروا اليه فانه

فضلاً عن ان يوفر اكثر من نصف مدة الطالب فانه يكون اكبر معين لاتساع دائرة العقل وتربية ملكة الفهم التي يتمدحون بها على وجه صحيح في اسرع وقت لان خير الابحاث ما بني على اصول العلم الصحيحة وهو الذي يورث الشرف والسوءدد والفخار لصاحبه ويرفع من قدره في المجالس ولبئس الحال السيء ان يوجد الانسان في محفل حافل ويسئل في امر بسيط فيقول لاادري (حتى اراجع) . وكثيراً ما فاق الاصاغر الاكابر بسبب الحفظ وطالما تعب العلماء في بعض المسائل وتحيروا فيها بسبب عدم الحفظ وكم مرة اخطأوا في الدروس وفي كثير من الاراء والمذاهب بسبب عدم الحفظ وبالجملة فان الحفظ هو السلم الذي يمكنك ان ترقي به سماء العلم في اقرب وقت بل هو كل العلم وهو الذي يحقق مفهوم عالم على الحقيقة وقد بلغ من اعتناء الاولين به انهم كانوا يحفظون الكتاب الكبير الذي يقرب من ثلاثين كراساً كما كانوا يحفظون من الاحاديث باسانيدها واشعار العرب ونحو ذلك مما لايعلمه الا الله ولا يمكن ان يصل اليه احد الآن وامر الغزالي في ذلك معلوم حيث كان في ايام طلبه يكتب

العلم ولا يحفظه فلما رجع الى اهله اخذ قطاع الطريق متاعه وفيه مذكراته العلمية التي هي نتيجة ما تحصل عليه فما زال يستغيث طالباً هذه المذكرات فقط قائلاً انها لاتنفعكم حتى اعطوها له فلما انتهى من سفره اشتغل بحفظها ولما اتمها قال ما معناه(الآن لايمكن ان يسرق مني علمي ولا ان يغصب)

اهمال الحفظ اورثنا انحطاطاً شديداً وتأخراً كثيراً. وما معنى تكرار مزاولة الكتب وفهم المسائل ثم تركها واضاعة العمر بين فهم وترك حتى صار مثلنا في هذا كالذي يشغل سائر اوقاته بالصيد فاذا ما وقع في شبكته شيء اطلقه وهكذا طالب العلم ومتي اشتغل بالحفظ هان عليه الامر جداً وتحصل في ربع زمنه على اضعاف ما يحصل عليه الآن فيه كله

فمن هذا ارى انه لابد من جعل الحفظ اجبارياً واعتباره في الامتحان بان يحتم على الطالب ان يحفظ في كل علم متناً متوسطاً على الاقل ولا بد من انتخاب المتون التي تحفظ ولا يشترط ان تكون متون كتب تدرس فان شدة اختصار بعض المتون اوجب غموضها حتي صارت لاتفيد كثيراً ولا يمكن اخذ المعنى

منها الا بصعوبة شديدة تحتاج الى زمن كثير فهذه يجب ان تجتنب وزيادة اسبوع في الحفظ او ورقات في المتن اهون من هذا التعسف والتصعيب ولقد كان تاليف الاقدمين مرسلاً لايقسم الى شرح ومتن فالمتأخرون اخترعوا هذا الاسلوب لتسهيل الحفظ والتعلم وهو اختراع مفيد ولكن ان جرى على قانون معتدل

وهنا اشير ان يكون الحفظ بعد مطالعة المتن وحله حلا بسيطاً لان ذلك يسهل الحفظ ويثبت المعاني في الفكر ويجعل للانسان فيها مجالاً لكثرة تكرارها على الفكر

الكتابة

قد اشتهر ايضاً قول بعضهم حثا على كتابة العلم

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الواثقه

ولكن الطلاب اهملوا ذلك اليوم بالمرة فضاعت عليهم فوائد كثيرة فكم من تحقيق رائق يبديه الاستاذ في مسألة فيعجب به الطلاب ثم لايكتبونه فلا يلبث ان يضيع من افكارهم

ثم يحتاجون اليه فلا يجدونه وكأنهم ما عرفوه ولا سمعوه وهكذا الآن نتائج الجد وعمل الفكر تذهب وتضيع بسبب اهمال الكتابة . تالله لولا الكتابة ما امكن تدوين العلوم ولا ايجاد هذه المؤلفات التي نراها. اليوم أيظن الناس ان التأليف كله يكون بالنقل عن الكتب او الاخذ من المحفوظ . كلا ان من اعظم التاليف ما لايأتي الا بكتابة الواردات والخواطر والمسموعات والمعلومات المتفرقة ولولا كتابتها ما امكن جمع تلك الكتب وذهبت منافعها العالية ادراج الرياح . قد كان من حرص الاولين على الكتابة انهم لم يتركوا شاردة ولا واردة الا قيدوها وها هي كتبهم نجدها ناطقة بذلك فهناك من الحكايات والوقائع ما لايعتنى به ولكنهم قيدوه واودعوه كتبهم حرصاً على سائر ما نشم منه رائحة الفائدة وهناك من المعانى ما يرى ويسمع الانسان الآن ويخطر على باله ما هو احسن منه بكثير ولكن هم قيدوا فحفظ عنهم ونحن اهملنا فضاعت الفوائد

كثر ما يكون في خطرات بعض العلماء او الطلاب ما لو اعتنى به وقيده لافاد العالم اي افادة وخلد له ذكرًا لاينسى

وامكنه ان يجمع من شتاته كتاباً يعجز كبار العلماء عن الاتيان بمثله ويعجز هو ان يأتي به قصداً مع انه كنز السعادة ومفتاح الكمال

ان الاعتناء بالكتابة لايفيد الكاتب فقط بل ويكون اعظم مساعد على ترقي سائر الناس وعلى تقدم العلوم ووصولها الى درجة الكمال المطلوبة . وبالجملة فان اهمال الكتابة نقص كبير وارى ان لابد ان يكون مع الطالب والعالم مذكرة (وقلم رصاص على الاقل) يكتب فيها خواطره الحسنة في اي موضوع كانت وما يسمعه من

المسائل النفيسة وان كانت مبسوطة في الكتب فقد لايتيسر له مراجعتها بل قد لايخطر له بعد ذلك على بال وما يعن له من الآراء في اي مسئلة من مسائل العلم وما يظهر له من نحو اوجه نقد المؤلفات بل وما يسمعه من كلام سائر الناس حتى العوام الذي يجد فيه من المزايا والمعاني العالية ما يستحق به ان يودع الدفاتر (وهو كثير) وعلى الجملة فليقرن حركة قلمه بحركة فكره وسمعه وبصره وسائر حواسه الظاهرة والباطنة وليكتب كل شيء ان استطاع فذلك هو عنوان السعادة وداعية التقدم

والرجل الذي يكون هذا حاله ينتفع حقاً بسائر حركاته ويمكنه ان يستخرج من مذكراته اليومية كتباً نفيسة في مواضيع مختلفة ولايكلفه ذلك شيء من التعب بل يمكنه ان يتركها على حالها وتكون بذاتها كتاباً كبيرا يحوي المواضيع المختلفة كأنه كشكول او دائرة معارف كبرى ولكن هذا الكسل والتراخي يحرمان الانسان من ثمرات اعماله ووجوده حتى من المنافع الكبرى التي لاتكلفنا الا قليلا من العمل وفقنا الله الى ما فيه الخير والصواب

عدم الاهتمام بالوسيلة

اكثر من المقصد

من اشد الامور ضررا على التعليم ما هو حاصل اليوم من اعطاء الوسائل من العناية اكثر ما للمقاصد فالعلوم الدينية المقصودة من التوحيد والفقه والحديث والتفسير والاخلاق الدينية ليست موضع الاهتمام ولا موضوع التنافس وانما ذلك لبعض للعلوم التي تعد من الوسائل كالمعانى والبيان بل لاابالغ ان قلت ان كثيرا

من العلماء والطلاب ربما تباهوا وافتخروا بنبذ العلوم المقصودة والاقبال على سواها نعم قد يوجد الآن شيء من الاقبال على علم التوحيد والافتخار بمعرفته ولكن ليس ذلك من اجل انه علم ديني بل من جهة انه علم عقلي تمتحن به درجات العقول وتتسابق فيه الافكار ومن الغريب ان هذا التهاون كما هو بين الافراد فهو في مجلس الامتحان فلا يعتنى فيه بشيء من العلوم الشرعية الا بالتوحيد للعلة المتقدمة ولا شك ان هذا هو السبب فى التهاون العام وانه نقص يجب تداركه نعم جودة العقل مطلوبة وقد يكون ظهورها في بعض العلوم الآلية اكثر من بعض العلوم الشرعية ولكن ذلك لايقضى باهمال ما هو المقصود فمعرفة الوسائل لازمة ولكنها لاتكفي بدون المقاصد اذ ما كانت لازمة الا لاجلها كما ان معرفة العلوم الشرعية لازمة ولكنها لاتكفى دون التحقق بمضمونها اذ ما كانت الا من اجله ولهذا فاني ارى وجوب الاعتناء بالعلوم الشرعية جميعها باعتبار انها المقصود الاول ووجوب التنبه الى هذه النقط الجوهرية التي يترتب على اهمالها قلب الموضوع وزوال المقصود وفقنا الله الى ما فيه كمال الحكمة ومزيد السداد

المحافظة على الوقت

هذا من اهم ما لابد من ملاحظته فان الوقت نفيس واغتنام الفرصة واجب وقد قيل (الوقت كالسيف ان تقطعه لم قطعك) ولكن الجاري الآن غير ذلك فانك اولا لاتجد في نفوس اكثر الطلاب الغيرة على تحصيل الغاية فى الزمن المناسب بل هم قد لايتصورونها حتى يعملوا لتحصيلها وقد ينشأ من هذا ان يمضى احدهم اكثر عمره في تحصيل شيء من العلم او ملكة الفهم يكفى له اربع سنين على الاكثر ولو حاسبنا الطلاب على ساعات العمل الحقيقية ما وجدناها تبلغ الاربع مع انهم بظاهر الامر منقطعون للعلم ليلاً نهاراً عاكفون فى المساجد لهذه الغاية وثانياً تجد اوقات المسامحة اكثر من اللازم فضلا عن ان الاساتذة يسامحون دائماً قبل الميعاد المحدد فى القانون و يبتدئون بعد زمن الابتداء فكأن الامر امر تأدية رسوم ووظائف لاامر جد وعمل لتحصيل الغاية في اقرب وقت ممكن وثالثاً تجد طبيعة دراستهم تقتضي ضياع الزمن من جهة الاشتغال بالامور التافهة ومن جهة التمطيط والتطويل والاسهاب

في الكتب وكل ذلك ضياع كبير. ثمن هذا ارى انه لابد من ايجاد ترتيب وتحديد لساعات العمل وتحتيم ذلك على الطلاب ولابد من حملهم مع العلماء على العمل بالقانون في مواعيد الدراسة والمسامحه بسائر الطرق الممكنه قهرية كانت او اقناعية ولا بد من ايجاد نظام كاف لايضيع المعلم معه الزمن فى كتاب او كتابين ولا يعطى شيئاً اكثر مما يستحق من المدة. وهنا انصح الطلاب ان لايقتصروا على تلقى الدروس وان لايجعلوا لهم اوقات مسامحة ودراسة بل ليشتغلوا دائماً وليتصوروا الغاية ثم ليتنافسوا في الوصول اليها بآخر سرعة في اقل ما يمكن من الزمن لكى لاتطول مده طلبهم وليغتنموا السعادة قبل ذهاب زمن الشباب فان اشتغال المسامحة الواحدة من المسامحتين الصيفية والاعتيادية يكاد ان يوفر سنه من سني الطلب والله الموفق والمعين